

القَصَصُ الدِّينِي  
الحلقة الثانية  
قِصَصُ السَّيِّرة

عَلَيْهِ السَّلَامُ

عبد الحميد جودة السحار

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ  
جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ،  
فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ،  
فَكَسَرْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ،  
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

( قرآن كريم )

تذكر عبد المطلب أنه نذر يوم كان يحفر زمزم هو  
 وابنه الحارث : لئن وُلِدَ له عشرة ذكور حتى  
 يراهم ، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة ، وهؤلاء قد  
 اكتملوا عشرة ، فوجب عليه أن يوقى بنذره ،  
 فطلب أولاده ، وكان أكبرهم الحارث ، وأصغرهم  
 عبد الله ، وكان عبد الله أحب أولاده إلى قلبه ،  
 فالتفت إليهم وقال :

— نذرت أن أذبح أحدكم لله إذا وهب لي عشرة  
 ذكور ، وها أنتم قد اكتملتم عشرة ، وإنى أحب أن  
 أوقى بنذري .

فقالوا له :

— أوف بنذرك ، وافعل ما شئت .

فقال ليختار من بينهم من يذبحه :

- ليأخذ كل واحد منكم قدحا ، ثم يكتب فيه

اسمه ، ثم اتوني به .

كان العرب حينئذ إذا أرادوا أن يفعلوا شيئا

يضربون بالقداح ، والقداح : عيدان من خشب

البقس نُحِتَتْ ومُلِسَتْ ، وجُعِلَتْ سواء في الطول ،

يُكتب عليها « افعل » أو « لا تفعل » أو ما

يشاءون أن يقتزعوا عليه ، وكانوا يذهبون إلى هبل ،

وهو صنم يعبدونه : ثم يطلبون من الحاجب -

ويطلقون عليه « السادن » - أن يختار قدحا من

القداح ، فإذا خرج القدح المكتوب فيه « افعل »

كانوا يفعلون الشيء ، أما إذا خرج القدح المكتوب

فيه : « لا تفعل » فكانوا لا يفعلون ما نهوا عنه .

ولما كان عبد المطلب يريد أن يقتزع بين أولاده ،

ليختار منهم من يذبحه ، أمرهم أن يكتبوا أسماءهم

على القداح ، فلما فعلوا قدموها إليه .



فذهب عبدُ المطلب إلى الكعبة ، والناس خلفه  
يذكرون نذرَه ، وما عزم على أن يفعله . وتقدم من  
سَادِن هَيْل ، وقدم إليه القداح ، فلف السادن يده  
بقماش ، وجيء بثوب أبيض ، وبُسط بين يدي  
السادن ، وأمسك بالقداح تحت الثوب ، ومد يده ،  
وأخرج قِدْحًا ، فإذا به قِدْحُ عبد الله .

وساد سكونٌ عميق ، وامتدت أعناقُ الناس ،  
واتسعت العيون . كان على عبد المطلب أن يذبح  
عبدَ الله أحبَّ أبنائه إليه . لم يُحجم عبدُ المطلب بل  
تقدَّم ، وأخذ عبدَ الله بيده ، وأخذ السكين ، ثم  
ذهب به إلى إسافٍ ونائلة ، وهما صنمان كان  
العربُ يذبحون عندهما ؛ ونام عبدُ الله ورفع عبدُ  
المطلب السكين ليذبحه ، وإذا برجال قريش يُقبلون  
ويقولون :

- ماذا تريدُ يا عبد المطلب ؟

- أذبحه .

- واللّه لا تذبحه أبداً ، لئن فعلت هذا لا يزال  
الرجل منا يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس  
على هذا !

وقال أخوال عبد الله :

- إن كان فداؤاه بأموالنا فديناه .

وقال الناس :

- لا تذبحه ، واذهب به إلى عرّافة ( منجمة ) ،  
وسلها ، فإن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر  
لك وله فيه مخرج قبلته .

وخرجوا إلى العرّافة ، حتى إذا بلغوها ، قصّ  
عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ،  
ونذّره فيه ، فقالت :

- كم الدية فيكم ؟

والدية هي عدد الجمل التي كان يدفعها أهل  
القاتل إلى أهل القتيل إذا تصالحوا ، فقالوا :

- عشْر من الإبل .

فَقَالَتِ الْعَرَّافَةُ :

— ارجعوا إلى بلادكم ، ثم قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ،  
وَقَرَّبُوا عَشْرَةً مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ اضْرَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ  
بِالْقِدَاحِ . فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ ، فزِيدُوا فِي  
الْإِبِلِ حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ  
فَانْحَرُوهَا عَنْهُ ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنَجَّى صَاحِبُكُمْ .

عاد عبد المطلب وأبناؤه ومن خرج معه إلى مكة ،  
 وذهبوا إلى سادن قريش ، ليقتربوا بين عبد الله  
 والإبل ، ووقف عبد المطلب عند هبل يدعو الله أن  
 يُنقذ ابنه ، وتقدم عبد الله وعشر من الإبل ،  
 وضرب السادن بالقداح ، فخرج القدح على عبد  
 الله ، فاستمر عبد المطلب في دُعائه ، وزادوا عشرا  
 من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، ثم ضربوا  
 بالقداح ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا  
 عشرا من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، واستمر عبد  
 المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على  
 عبد الله ، ثم لم يزالوا يضربون بالقداح ، ويخرج  
 القدح على عبد الله ، فكلما خرج عليه زادوا من  
 الإبل عشرا ، حتى ضربوا عشر مرات ، وبلغت



الإبل مائة ، وعبد المطلب قائم يدعُو ، ثم ضربوا  
فخرج القِدْحُ على الإبل ، ففرح الناس وصاحوا :  
— قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب .

فقال عبد المطلب :

— لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات .  
فضربوا بالقداح على الإبل وعلى عبد الله ، وقام  
عبد المطلب يدعو ، فخرج القِدْحُ على الإبل ، ثم  
عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو ، فخرج  
القِدْحُ على الإبل ، ثم عادوا الثالثة فضربوا  
بالقداح ، فخرج القِدْحُ على الإبل ، فاطمأنَّ عبد  
المطلب إلى أن الله قد رضى عن قداء عبد الله بمائة  
من الإبل .

ونجرت الإبل ، وتركزت للناس والطيور  
والوحوش يأكلون منها ، لا يمنعهم عنها أحد .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ جَيْلًا ، حَتَّى إِنَّ نِسَاءَ قُرَيْشٍ كُنَّ  
 يَتَمَنَّينَ الزَّوْاجَ بِهِ ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ نُورٌ يَتَلَأَلُ ،  
 وَأَرَادَتْ امْرَأَةٌ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ ، فَقَدْ حَزَرَتْ أَنْ لِهَذَا  
 النُّورِ شَأْنًا ، فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، وَأَنْ تُعْطِيَهُ  
 مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَكِنَّهُ أَبَى ؛ كَانَ ذَاهِبًا مَعَ أَبِيهِ إِلَى  
 وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ لِيَتَزَوَّجَهُ مِنْ ابْنَتِهِ آمَنَةَ .  
 دَخَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى وَهْبٍ ،  
 وَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ : إِنَّهُ جَاءَ يَطْلُبُ آمَنَةَ لَابْنِهِ .  
 فَوَافَقَ وَهْبٌ عَلَى تَزْوِيجِ آمَنَةَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَدْ  
 كَانَ عَبْدُ اللَّهِ وَاسِمًا ، وَكَانَ فِي مِصَاهِرَةِ بَنِي هَاشِمٍ  
 شَرَفٌ عَظِيمٌ .

ومكث عبدُ الله عند آمنة ثلاثة أيام ، وكانت هذه عادة العرب إذا تزوجُوا في بيت أهل الزوجة . وفي اليوم الثاني خرج عبدُ الله من عند آمنة ، ومَرَّ على المرأة التي عَرَضَتْ عليه أن تزوجه ، وأن تُعْطِيَهُ مائةً من الإبل ، فلم تحدثه ، ولم تعرضْ عليه الزواج ، فعجب عبدُ الله من ذلك ، وقال لها .

— لماذا لا تعرضين على الزواج ؟

فظرت إليه طويلاً ، ثم قالت :

— أيُّ شيء صنعت بعدى ؟

فقال عبد الله :

— تزوجتُ آمنة بنت وهب .

فقالت المرأة في حُرن :

- رأيتُ نورَ النبوةِ في وجهك ، فأردتُ أن يكون  
ذلك فيّ ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله .  
لم يكنْ مُقدِّراً أن تأتي هذه المرأةُ برسولِ الله ، بل  
كان مُقدِّراً أن تحملَ خيرَ أهلِ الأرض ، آمنةُ بنت  
وهب .



تأهبَّ عبد الله للخروج إلى الشام ، في قافلة من قوافل قريش تحملُ تجارات ، فدخل على زوجته آمنة يودّعها قبل الرحيل ، كان يعزُّ عليه أن يفارقها ، ولم يمكثُ معها أكثر من أشهر أحبها فيها وأحبته ، ولكن كان عليه أن يخرج للتجارة ، كما يخرج أقرانه من الشباب . إنه ابنُ سيدِ قريش ، وليس معنى ذلك أن يمكثُ في مكة دون أن يعمل ، فالناس في ذلك الزمان لا يحترمون إلا العاملين ، ويكرهون الفارغين الذين يمكثون في مكة للهو واللعب .

اهتمت قريشُ بأمر القافلة ، فإنها تخرجُ بتجارتهن ؛ العبيدُ يحملون البضائع ، ويضعونها على ظهور الجمال ، والحميرُ مُحَمَّلةٌ بالجلود والشعير ،

والرجال يذهبون ويحيئون ، والنساء واقفات يُودَّعنَ  
المسافرين . وخرج عبدُ الله وسارت القافلة ناحية  
الشام ، وآمنة تودَّع زوجها ، وفي صدرها  
اضطراب ، وفي عينيها دُمُوع .

وبلغت القافلة غَزَّةَ ، ونزلت بسوقها ، وبدأت  
المقايضة . كان العرب يعطون التجار الرومان جلود  
الصحراء ، وشعير الطائف ، وقضة بني سليم ،  
ويأخذون منهم العطور والحلي والتوابل .

وانتهت الرحلة ، وفي أثناء العودة مرض عبدُ  
الله ، ودخلت القافلة المدينة ، فقال عبدُ الله :

— أنا أتخلفُ عند أخوالي بني عدى بن النجار .

كان أخواله في المدينة ، فمكثَ عندهم ،  
واستأنفت القافلة سيرها ، حتى إذا دخلت مكة ،  
سأل عبدُ المطلب عن ابنه في لهفة :

— أين عبد الله ؟

فقالوا له :

- مريضٌ عند أخواله بالمدينة .

وبلغ آمنةٌ مرضٌ زوجها ، فقلقت . كانت تُحِبُّه ،  
وكانت تنتظرُ عودته ، ولكنهم عاَدُوا جميعاً ، وتخلَّف  
عبدُ الله !

وأرسل عبدُ المطلب ابنةَ الحارثِ إلى المدينة ،  
ليعودَ بأخيه ، فلما وصل إليها وجدَ عبدُ الله قد  
مات .

وبلغ آمنةٌ موتَ زوجها ، فحزنت عليه ، وزاد في  
حزنها ، أنه كُتِبَ على ابنها الذي تحمله في بطنها ،  
أن يَشِبَّ يتيماً .

ولكن الله سبحانه وتعالى كان يحوطُ ذلك اليتيمَ  
برحمته ، ويكلِّمُه بعينِ رعايته ، ويَهْدِيهِ إلى أقوم  
السُّبُلِ ، ويُعِدُّهُ لأمرٍ جليلٍ الحَظَرِ .

« ألم يجدك يتيماً فآوى ؟ ووجدك ضالاً فهدى ؟  
ووجدك عائلاً فأغنى ؟ » .